أبو بكر جابر الجزائري وكتاباته في السيرة النبوية

أ. دوادي فرادي
جامعة العربي التبسي تبسة.

الملخص

يُعدُّ هذا البحث محاولة للكشف عن أحد مؤلفي السيرة النبوية في الجزائر في العصر الحديث وهو أبو بكر جابر. فمن هو أبو بكر جابر الجزائري؟ وما هي تآليفه في السيرة النبوية؟ وما هي مصادره في ذلك؟ وما المنهج الذي اعتمده؟ وما مميزات كتابه في هذا الفن المعرفي؟

Abstract :

This Article is an Attemp to discover one of the Algerian narrators of the Prophet’s biography in earlier time, his name is Abu Bakr Jaber. Who is This Personnality,his books in this Art, his sources, and his methodology in writing and its book’s specifities?

مقدِّمة

إهتم الرعيل الأول من المسلمين بكل كبيرة وصغيرة لها علاقة بالإسلام أو بمن مُثِّل الإسلام في شخصه الكريم ﷺ وسواء كان ذلك الاهتمام بالحفظ مشافهة أم بالكتابة، وإذا كانت الرواية الشفاهية هي العمدة في بداية المرحلة الإسلامية فإن ذلك لا ينفي وجود الكتابة والرواية المثبتة في السطور، ولا أدلَّ على ذلك من حركة التدوين لكتاب الله في زمنه ﷺ على يد مجموعة من الصحابة من كتبة الوحي أو لبعض سنته أو في زمن الخلفاء الراشدين من بعده أو الذين جاءوا بعدهم.

وجاء هذا الاهتمام لما فهموه من الأوامر الشرعية التي تضمنها القرآن أو السنة النبوية، هذه الأخيرة التي كانت لصيقة بسيرته الشريفة، فلا يمكن أن تُفهم بعيداً عن سياقها التاريخي الواقعي، لذا كان التأليف في السيرة مصاحباً للسنة وإن كان أقل حجماً وعدداً.

حفظ التاريخ مجموعة من أسماء الصحابة الأوائل الذين اهتموا بالسيرة النبوية على نفس مستوى اهتمامهم بالقرآن الكريم والسنة النبوية، فقد كانوا النواة الأولى لظهور التدوين في هذا الفن المعرفي، وذلك لفهمهم العميق أن التفاعل مع الأحكام الشرعية والتشريعية لا يكون إلا إذا كان مرتبطاً بشخص الإنسان الذي نزلت عليه هذه الأحكام ﷺ، ومن هؤلاء الصحابة كمثال لا الحصر: عبد الله بن عباس رضي الله عنه[1]، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما[2]، والبراء بن عازب رضي الله عنه[3].

فأما الأول فكان يروي، في غير مجلس التفسير ورواية السنة، الكثير من وقائع السيرة وغزوات الرسول ﷺ، وأما الثاني فكان يكلِّف نفسه عناء كتابة كل ما يسمعه وما يراه من صاحب الرسالة ﷺ وكان يحدِّث بذلك، والثالث منهم فقد حفظ لنا التاريخ وكتبه الكثير من مروياته للسيرة وبخاصة في جانب الغزوات.

تداولت الأجيال بعد ذلك السيرة النبوية جيلاً بعد جيل، بدءً من جيل التابعين[4]، بالحفظ والتأليف، ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية وحركة الفتح ودخول العديد من الشعوب والأقطار دائرة الإسلام، زاد اهتمام تلك المناطق وشعوبها بسيرة نبيِّهم ﷺ، وكما كان منشأ الدعوة مشرقاً ونالت السيرة فيهم نصيبها، كذلك كان حظ أهل بلاد المغرب فيها ومنها وافراً وزاخراً، ولا أدلَّ على ذلك التراث الكبير المخطوط وحتى المنقول مشافهة والذي خلَّفه المغاربة الأسلاف.

لم يتخلَّف أهل المغرب الأوسط عن ركب الاهتمام بالسيرة النبوية حفظاً وتدويناً، وذلك بالرحلة مشرقاً سواء كانت الرحلة للحج أو لطلب العلم

أو للتجارة أو حتى لظروف سياسية أو اجتماعية، فقد شُغفوا بها أيّما شغف فنقلوا من أخبارها وأحداثها ما استطاعوا، فأبدعوا فيها وتفنَّنوا، وحتى كان لهم السبق على المشارقة في بعض الأزمنة في بعض الفروع والجوانب؛ بل قد حدّثنا التاريخ أن بعض كتب السيرة النبوية المغربية أصبحت المرجعية لها عند المشارقة في الزمن السالف والحاضر(5)، وكما هو الشأن في عيِّنة البحث.

تعريف عام بالشيخ " أبي بكر جابر الجزائري".

أ/ النسب والنشأة العلمية.

هو أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، من مواليد عام1339هــ/ 1921م، بقرية ليوة القريبة من دائرة طولقة الحالية والتابعة إدارياً وإقليمياً لولاية بسكرة –ما بعد الإستقلال– في الجنوب الشرقي للجزائر.

نشأ في قريته الصغيرة ليوة أين تلقى علومه الأولى، وكان على رأسها حفظ كتاب الله، وهذه سنة حميدة تحسب لأهل الجنوب الجزائري عامة ولازالت قائمة لحد الساعة، ثم حفظ بعض المتون في اللغة العربية وكذا في الفقه المالكي، ولما علم أن ما أخذه لم يكن كافياً لإشباع نهمه العلمي واستزادة في توسيع مداركه العقلية والمعرفية نزل إلى مدينة بسكرة، أين جلس للدرس والمدارسة مع جملة من مشايخها في ذلك الزمان، فحفظ ووعى جملة من العلوم النقلية والعقلية، حتى كان له ذلك عوناً في التأهيل بعد التحصيل، فجلس للتدريب والتدريس في إحدى المدارس الأهلية بمنطقة بسكرة.

ب/ الرحلة في طلب العلم.

لم تكن الجزائر، في تلك الفترة تنعم بما هي عليه اليوم، ولا أهلُها بسبب تواجد الطُغْمَة الإستعمارية الفرنسية، والتي عاثت فساداً في ربوع البلاد وما نجم عن ذلك في حق العباد، فكان لزاماً بأن اتجه الكثير من الجزائريين إلى الهجرة، سواء كانت تلك الهجرة داخلية أو خارجية، وكان حظ أسرة الشيخ أن ترتحل قِبَل المشرق وخارج الحدود وتحديداً إلى مدينة رسول الله ﷺ، ولما طاب المُقام واطمأنت النفوس إلى ما آلت إليه من سعة في الرزق وأمان من خوف على الأبدان وتوفّر منارة من منارات العلم ألا وهو المسجد النبوي، حطَّ الشيخ رحاله واستأنف طريقه في طلب العلم بالجلوس إلى حلقات العلماء والمشايخ، وقد كان مثابراً، وداوم على ذلك سنوات عدّة، ما أهَّله إلى الحصول على إجازة من رئاسة القضاء بمكة المكرّمة للتدريس في المسجد النبوي.

ج/ الوظائف المشغولة.

شغل الشيخ، بعد سنوات الجد والتحصيل العلمي والمعرفي فيما كان متاحاً وما نذر نفسه إليه، العديد من المناصب الوظيفية، فقد عمل مدرِّساً في أحد المدارس الأهلية بمنطقة بسكرة بالجزائر قبل الهجرة، ثم شغل نفس المنصب في العديد من مدارس وزراة المعارف السعودية، كما شغل منصب التدريس بدار الحديث بالمدينة المنورة، مع استقلاله بحلقة تدريس تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف بالمسجد النبوي.

ومع مرور السنوات وأخذ التجربة في التدريس والتدريب، وحين فتحت الجامعة الإسلامية أبوابها بالمدينة المنورة، في بداية ستينيات القرن الماضي(ق20 م)، كان الشيخ من أوائل الأساتذة المدرِّسين بها، وبقي فيها ما يربو عن عقود عدَّة حتى أحيل على التقاعد.

غير أنه ما انقطع عن حلقات التفسير ولا الحديث وحتى دروس الوعظ والإرشاد في المسجد النبوي إلى الوقت الراهن، رغم ما يعتريه بين الحين والآخر، على كِبَر سنه، من آلام وأمراض عرضية وتوعّكات صحية، وقد لمسنا ذلك منه مشاهدة عينية وجلسات شخصية سواء كان ذلك في المسجد النبوي أو حين كرمه بالاستضافة في بيته أو في غيرها من الأماكن، على ما كان منه من نشاطات دعوية داخل السعودية أو خارجها[6].

د/ طلبته ومريدوه.

خرَّج الشيخ أبو بكر جابر الجزائري في سنوات عطائه ومسيرته العلمية والتعليمية الكثير من التلاميذ والطلبة، وهم الآن مشايخ وأساتذة كباراً.

ومن طلبته الذين تبوأوا مصاف المشيخة والأستاذية، الشيخ صالح المغامسي، والذي أصبح إمام وخطيب مسجد قباء بالمدينة المنورة[7]، وأ.د/ حسام الدين عفانة[8]، وغيرهم كثير.

آثار الشيخ العلمية ومؤلّفاته في السيرة النبوية:

مؤلّفات الشيخ أبي بكر جابر كثيرة، ومع كثرتها فقد تلقتها الأمة جمعاء مشرقاً ومغرباً بالقبول، وسواء كانوا في ذلك علماء أو طلبة علم أو حتى العامة، منها ما كان على شكل رسائل وكرّاسات صغيرة، تبحث في الإسلام عموماً والجانب الدعوي فيه على وجه الخصوص أسماها رسائل الجزائري، وفاق عددها العشرين(20) رسالة؛ ومنها ما كان كتاباً مفرداً في نفس السياق الدعوي، مثاله كتاب المرأة المسلمة، وكتاب الدولة الإسلامية.

وفي التفسير فله أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، وهو تفسير جامع لكل القرآن يقع في مجموعة مجلّدات.

وألّف في العقيدة مجموعة كتب كان أولها عقيدة المؤمن، وهو كتاب اشتمل على كل ما يحتاجه المؤمن من بيان لعقيدته، وجامع لفروعها، وكتاب كمال الأمة في صلاح عقيدتها وهو مكمِّل للأوّل، ثم كتاب منهاج المسلم وجمع فيه شيئاً من العقيدة والآداب والأخلاق والعبادات والمعاملات.

وأما في التاريخ والسير، فله كتاب هؤلاء هم اليهود، جاء فيه على الجانب التاريخي لهؤلاء مع بيان فساد عقيدتهم وتحريف ما أنزل إليهم وبطلان ما يدعون إليه وما يدَّعونه، ثم كتابه في السيرة النبوية هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب[9]، وهو كتاب الدراسة ومناط الشرح والتحليل.

دراسة وصفية تعريفية لمصادر كتابه في السيرة النبوية.

إن دراسة مصادر ومراجع أي كتاب وفي أي فنٍ معرفي كان، تعطينا ولو على أقل تقدير، فكرة موجزة عن الكتاب وصاحبه والمنهج المتبع في تأليفه، ومدى التأثر والتأثير القائم بين هذا المؤَلَّف الجديد وما كان قبله من تلك المصادر والمراجع، وسواء كان ذلك سلباً أو إيجاباً، بحسب المنهج المتَّبع والغاية المرجوة والخِطة المرسومة.

أشار الشيخ أبو بكر في نهاية كتابه إلى مجموعة من المصادر التي اعتمدها وعدَّد منها أربعة (04) فقط ولم يذكر غيرها، رغم اعتماده على مجموعة كبيرة من المصادر بحسب ما هو مثبت في متن الكتاب وحواشيه، ولعلّه فعل ذلك لعدَّة أسباب أهمها أنه فعل ذلك للاختصار أو لاعتقاده أن ما تمَّ ذكره في المتن أو الحواشي قد يستغنى عنه في قائمة المصادر من باب أن الرجل غير متهم في دينه ولا علمه، وأن الأمة عامة قد تلقَّت مؤلفاته بالقبول، أو أن المصادر المُعْتمَد عليها هي مصادر أساسية في السيرة النبوية وأن أصحابها كانوا حجةً في زمانهم وتلقت الأمة عامة وأهل العلم خاصة ما كتبوه في هذا الفن بالقبول والرضى، وهي مرتبة كما يلي:

(1) سيرة ابن هشام والسهيلي عليها.

(2) الكامل لابن الأثير.

(3) البداية والنهاية لابن كثير.

(4) مختصر السيرة للشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

أولاً: سيرة ابن هشام وشرح السهيلي عليها.

يعود أصل سيرة ابن هشام إلى المجهود العلمي البحثي الذي قام به شيخه محمد بن إسحاق[10]، والذي جمع كل ما كان له علاقة بسيرة النبي ﷺ وبخاصة في جانب المغازي، مع ما خالج ذلك الجمع والكتابة من شوائب الإسرائيليات والروايات الواهية، فنظر فيها ابن هشام ونقّحها وأضاف إليها شيئاً من الشرح والإيضاح من حيث شرح الألفاظ اللغوية الصعبة وغريب

القول، وخفَّف كثيراً من أشعارها حتى أنّه حذف منها ما كان منتحلاً، حتى صارت على الشكل الذي هي عليه اليوم بين أيدينا، وقد اهتم بها الكثير من العلماء وشرَّاح السيرة منذ زمن بعيد إلى وقتنا الراهن.

نالت سيرة إبن هشام من علماء المغرب والأندلس إهتماماً بيِّناً وكبيراً ممن كتبوا في هذا الميدان، وعلى رأس قائمة هؤلاء المهتمين يأتي الإمام السهيلي(11)، وإن كان من أهل الأندلس- وزماناً كان يطلق لفظ الغرب الإسلامي على المغرب والأندلس معاً- فشرح السيرة وأودعها بين دفتي كتاب أسماه "الروض الأنف"(12).

وكتاب الروض الأنف كتاب جليل القدر عظيم النفع، لا يُستغنى عنه لا حين التأليف والكتابة عن السيرة النبوية في حق المختصين أو حين القراءة والمثاقفة في حق الباحثين والمتعلّمين؛ لذا جعله الشيخ أبو بكر أحد مصادره الأساسية التي رجع إليها بالمقام الأول وأثبتها على رأس تلك المصادر ثانياً؛ والأمر ينطبق على بقية المصادر المذكورة والمعتمدة تالياً.

ثانياً: الكامل لابن الأثير.

ألّف ابن الأثير(13) كتابه الكامل في التاريخ لعدَّة أسباب ذكر منها في مقدِّمة التأليف قوله:" فإني لم أزل محباً لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها، مؤثِراً للاطّلاع على الجليِّ من حوادثها وخافيها، مائلاً إلى المعارف والآداب والتجارب المودعة في مطاويها، فلمّا تأمّلتها رأيتها متباينة في تحصيل الغرض، يكاد جوهر المعرفة بها يستحيل إلى العرض، فمن بين مطوّل قد استقصى الطرقَ والروايات، ومختصِرٍ قد أخلَّ بكثير مما هو آت"(14).

أما المنهج الذي اعتمده في كتابه الكامل(15) فقد وضّحه بقوله:"فلما رأيت الأمر كذلك شرعت في تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما ليكون تذكرة لي أراجعُه خوف النسيان، وآتي فيه بالحوادث والكائنات من أوّل الزمان، متتابعة يتلو بعضُها بعضاً إلى وقتنا هذا؛ ولا أقول إني أتيت على جميع الحوادث المتعلّقة بالتاريخ ... ولكن أقول إني قد جمعت في كتابي هذا ما لم يُجمع في كتاب واحد، ومن تأمّله علم صحة ذلك"(16).

إعتمد الشيخ أبو بكر على ابن الأثير في تدوين كتابه لاعتماد هذا الأخير على مصادر نالت هي الأخرى مكانة مرموقة عند العلماء ونُعِّت أصحابها بأنهم ثقات، ويأتي الطبري على رأسهم، يقول ابن الأثير عن تلك المصادر وأهمها منزلة عنده:"فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنّفه الإمام أبو جعفر الطبري، إذ هو الكتاب المعوّل عند الكافة عليه، والمرجوع عند

الاختلاف إليه ... وإنما اعتمدت عليه من بين المؤرخين إذ هو الإمام المتقن حقاً، الجامع علماً وصحة اعتقاد وصدقاً"[17].

ثالثاً: البداية والنهاية لابن كثير.

يُعدُّ ابن كثير [18] من رواد المدرسة المشرقية والشامية[19] تحديداً والذين ألّفوا في السيرة النبوية، كما يُعدُّ كتابه البداية والنهاية[20] من أجلِّ ما كتب في هذا الفن، وذلك لأنه كان معاصراً ليقظة دينية لازمتها صحوة فكرية علمية مثّلت نواة مدرسة متميِّزة بالإضافة إلى أخذه العلم على يد فحول العلماء يومها.

إعتمد إبن كثير في كتابه منهج التأريخ بالسنوات الهجرية متبعاً في ذلك سلفه إبن الأثير، بعد أن ابتدأ التأليف عن بدء الخليقة وقَصَص الأنبياء فالسيرة النبوية، مستعرضاً التاريخ الإسلامي إلى زمانه، ومختتماً بالفتن والملاحم وأشراط الساعة وأحوال الآخرة، ناسجاً كل ذلك على بيِّنة ومستهدياً بهدي الكتاب والسنة وصحيح الأخبار متبعاً في ذلك قواعد مدرسة الحديث القائمة على الجرح والتعديل وتتبع الروايات[21].

كل تلك الأسباب والصفات جعلت كتاب البداية والنهاية مصدراً ضرورياً وملزماً لكل من يلج باب الكتابة في السيرة النبوية، مما حتَّم على الشيخ أبي بكر أن يعتمده أولاً في كتابه ثم يثبته من بين مصادره.

رابعاً: مختصر السيرة للشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

تُعتبر أسرة آل مشرف من أشهر الأسر في منطقة الحجاز، فهي مخزن للعلم ومحضن للعلماء، والتي ينتمي إليها الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، فالشيخ محمد مصلح ومجدِّد وباعث للحركة العلمية والدينية في الحجاز خاصة وشبه الجزيرة العربيبة عامة وإليه انتهت رئاسة كل ذلك، وأبوه عبد الوهاب كان قاضياً شرعياً في منطقة العُيينَة مسقط رأس الشيخ محمد، وجدُّ الشيخ محمد كان قاضياً كذلك وعالماً من علماء المذهب الحنبلي في منطقة نجد، فالأسرة سليلة وأصيلة في العلم والأدب، فقد ورثوا العلم وورَّثوه كابراً عن كابر[22].

وكتاب الشيخ عبد الله يكاد يكون نسخة مطابقة لكتاب أبيه محمد مع بعض الاختلاف في شرح بعض المصطلحات وتخريج بعض المسائل وحذف بعض الروايات، وهو شرح واختصار لسيرة ابن هشام؛ وقد اعتمد فيه الشيخ الترتيب التاريخي للأحداث والوقائع مبتدئاً فيه بالسيرة النبوية والغزوات فالخلافة الراشدة ثم بعض سنوات الخلافة الأموية وما كان فيها من أحداث مع لمحة موجزة عن الخلافة العباسية؛ فالكتاب وإن كان حول السيرة النبوية غير أنّه اشتمل على العديد من المواضيع التاريخية وبعض الأحكام الفقهية والتفريعات العلمية[23].

منهج الشيخ في كتابة السيرة النبوية.

ألَّف الشيخ أبو بكر جابر الجزائري كتابه في السيرة، بعد مرور قرون عدّة من بدء التأليف في هذا الفن المعرفي، فكان ذلك عوناً كبيراً له ولغيره من المتأخرين، فقد توفّرت مادة علمية كبيرة جُمِعت بين طيات الأسفار ودفات الكتب، كما أن الكتابة إزدادت ظهوراً ونضجاً على مر السنوات والقرون، وبما مرّت به هذه الأخيرة – الكتابة – من مراحل التأسيس والتنقيب والتمحيص والنقد أعطت لتأليف الشيخ صبغة خاصة، رغم ما له مع غيره من قواسم مشتركة، وسواء كانت تلك القواسم صغرى أو كبرى.

فقد كَثُر التأليف وتعدّدت المناهج، وقد لمس ذلك الشيخ حين قراءته للكتب المؤلَّفة قبل تأليفه لكتابه وحتى حين تأليفه لكتابه فإنّه قد أشار إلى ذلك موضِحاً منهجَه في الكتابة قائلا:"ونظراً لكثرة ما جُمِع وأُلّف في هذا الفن– السيرة– فإني تجنّباً للتكرار والإطالة والاختصار سلكت بتوفيق الله مسلكاً في جمعه وتأليفه ما جعله بفضل الله تعالى أمثل ما كتب في هذا الفن سهولةً ووضوحاً وشمولاً"(24).

وبالبرغم من مظاهر التشابه الموجودة بين كل تلك السيّر، وذلك راجع لوحدة المصدر والمورد، وتوحيد النظرة إلى الهدف المرجو، تبقى الخصوصية تكتنف شخص المؤلّف ودرجته العلمية مع قدرة الإلمام والاهتمام ممّا يسبب التفاضل والتفاوت في البسط أو الاختصار وكذا المناقشة والتحليل والتعليل مع ما يصاحب كل ذلك من ذكر الفوائد والتنبيهات مما يجعلها كلها متكاملة كنسيج واحد لا يقبل التجزئة.

ومن خلال تقديمنا وتعريفنا لمصادر السيرة التي اعتمدها الشيخ وكذا المناهج المتبعة في تأليف وكتابة تلك المصادر، يتضح جلياً، من خلال تصفّح كتاب هذا الحبيب، أن الشيخ تأثَّر أيّما تأثر بتلك المصادر وكذلك بمناهجها، لذا نجده قد سار على خطى هؤلاء وطبق منهجهم مع بعض الفروقات والاختلافات.

ومن بين القواسم المشتركة في منهج التأليف بين كتاب الشيخ ومصادره سابقة الذكر مجموعة نقاط من أهمها:

1- أنها قدَّمت الحديث عن بدء الخليقة أو الفترة التي سبقت النبوة عن فترة السيرة النبوية والنبوة.

2- اعتمدت جميعها على السرد التاريخي للأحداث بحسب السنوات وخاصة في الفترة المخصَّصة للنبوة.

3- نظرتهم الحديثية المعتمدة على الرواية والإسناد ممَّا يجعل لها المصداقية والقبول.

4- تتبع الحادثة التاريخية وذكر مصادرها حتى ولو تعدّدت رواياتها وأسانيدها.
5- ترجيح الرواية الأقرب إلى الشرع والواقع والعقل.
6- ملكة التحليل والتعليل التي امتاز بها هؤلاء بعد أن نضجت الكتابة في السيرة النبوية.
7- سرد التاريخ وحوادث الزمان لما بعد فترة النبوة وإن كانت التآليف خاصة بالسيرة النبوية.
8- كثرة التفريعات العلمية والتعاليق على بعض المسائل خارج إطار السيرة النبوية وسواء تعلق ذلك ببعض الحوادث التاريخية أو باللغة العربية وفقهها أو بالشعر أو ببعض أسماء الأماكن أو الأشخاص.

مميزات وخصائص التفرُّد في منهج كتابة "هذا الحبيب":

تميَّز كتاب الشيخ عن غيره من كتب السيرة- وخاصة المصادر المعتمدة – بمجموعة مميِّزات تفرَّد بها، لعلّ الأهم فيها الخصائص التالية:
1- جاء الكتاب وسطاً في التأليف بين الإطالة المملَّة والمختصرات المخلَّة، وهذه ميزة تجعله مورد كل قارئ ومطلب الخاص والعام، وقد أشار إلى ذلك مؤلّفُه وأثبتنا ما قاله سلفاً حين بداية الحديث عن المنهج.
2- إقتصر الكتاب على فترة النبوة وشخص النبي محمد ﷺ وخصائصه وشمائله وآدابه وأخلاقه وحقوقه على الأمة ولم يتعدَّها زمنياً إلى ما بعدها؛ حتى أنه ختم الكتاب بحقّه ﷺ بالصلاة عليه وصيغ تلك الصلاة.
3- بالرغم من أن معالم الكتابة في السيرة النبوية تحدَّدت أو كادت إلا أنها على يد الشيخ قد تجدّدت بما أضفى عليها من حسن التبويب وجمال التفصيل، وهذا سبق يحسب لسماحته.
4- قام الشيخ أبو بكر بترصيع كل مقطوعة من حوادث الكتاب بذكر نتائجها والعِبَر المستقاة منها، وفي ذلك يقول:" وزَانَه ما امتاز به من ترصيع كل مقطوعة منه بذكر نتائجها وعِبَرٍ قد لا تخلو منها في غالبها"[25].
5- جمع الشيخ في منهج تأليفه للكتاب بين رسالة العلم والإيمان – وهي الموضوعية المطلوبة كغاية وهدف – وبين الحب الصادق للحبيب ﷺ – وهي العاطفة الجياشة في غير شطط- كنتيجة، وقد أشار إلى ذلك بعد دعوته الملِحَّة للمسلمين جميعاً بقراءة هذا الكتاب أو بعض أجزائه ومقطوعاته في قوله:" ولهذا فإني أدعو أهل كل بيت مسلم أن يجتمعوا على قراءته ... يقوّون بذلك إيمانهم وينمّون معارفهم ويهذّبون أخلاقهم، وأعظم من ذلك اكتسابهم حب نبيِّهم وحب أهل بيته الطاهرين وصحابته الغر الميامين"[26].

6- تزويد الكتاب بوسائل إيضاح مختلفة وكثيرة زادت من قيمته العلمية والمعرفية، تفرَّعت ما بين خريطة لمواقع جغرافية [27]، وشجرة نسبهﷺ [28]، ورسم بياني لمراحل حياته ﷺ حتى البعثة [29]، ومواقع لغزواته ﷺ[30] ونماذج من كتبه ومراسلاته ﷺ[31].

7- يقدِّم الشيخ –حين الإستدلال على الواقعة أو الحادثة التاريخية–الآية القرآنية ما وُجدت ثم يتبعها بما صحَّ من السنن والأقوال.

8- حذف الأسانيد في كل الروايات المثبتة تسهيلاً على القارئ، ما لم تكن حاجة ماسة لذكرها إلا ما كان في قصة بدء الوحي[32].

مآخذ منهج كتابة "هذا الحبيب".

مع علو كعب الشيخ في العلم ورسوخه، وبالرغم من تمكُّنه من ترويض اليراع في الكتابة، ومع إقرارنا مسبقاً أن الشيخ صاحب كتاب "هذا الحبيب" غير مطعون في دينه ولا مجروح أو متهم في عقيدته أو في صدق نيّته حين كتابته عن الحبيب ﷺ وتاريخ حياته وما كان فيها من أحداث ووقائع، إلا أنّه من باب التنبيه، فإن الكتاب لا يخلو من مآخذ تؤخذ على منهج التأليف والكتابة أهمها:

1-أسقط الشيخ كل أسانيد الروايات – إلا ما تمَّ التنويه به في رواية بدء الوحي– ظناً منه تسهيل القراءة وعدم تشتيت فكر القارئ غير أنّ إسقاط أسانيد الرواية قد يكون مدخلاً للطعن في الرواية أولاً ثم طعناً لما ترتب عنها من أحكام ثانياً، إذا علمنا أن السيرة النبوية وكتبها وكتابتها لم تبق حكراً على أمة الإسلام وعلمائها وأبنائها، بل تعدّتهم إلى أمم وأجناس أخرى.

2- عدم تخريج الإحالات المرجعية المعتمد عليها في تخريج الأحاديث أو الروايات التاريخية أو حتى شروحات الألفاظ وتخريج الأعلام والأماكن في هامش الصفحات وقد تمَّت الإشارة إلى ذلك حين تقديم مصادر الكتاب.

3- عدم تخريج المصادر والمراجع المعتمدة في الكتاب إلا ما تمَّت الإشارة إليه (كتب السيرة الأربعة04) السالف ذكرها.

4- تَرْكُه التعليق على بعض الأسانيد والروايات التي أثبتها في الكتاب رغم ما قاله العلماء فيها سواء بالترك أو بالتحذير منها لما فيها من العيوب – تبعاً لمنهج الجرح والتعديل– ومثاله رواية ولادته ﷺ وما كان فيها من المعجزات والخوارق[33].

خاتمة.

تناول البحث أحد الجزائريين كتَبَة السيرة النبوية في العصر الحديث وهو الشيخ "أبو بكر جابر الجزائري" وكتابه الذي أسماه "هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب"، وبيَّنت فيه المنهج الذي اتبعه سماحته وهو منهج الحوليات وسرد الوقائع والأحداث بحسب السنوات الهجرية، بعد أن أشرت ولو بالقليل من التعريف إلى بداية الكتابة في السيرة النبوية، ثم عرَّفت بشخص الشيخ وحياته العلمية والتعليمية، وما كان له من رحلة داخل الوطن وخارجه واستقراره بأرض البقاع المقدّسة، وتأليفه لمجموعة من التآليف في فروع عدّة تمسّ حياة الإنسان عامة وشخص المسلم خاصة، وخلصتُ إلى مؤلَّفِه في السيرة النبوية ومنهجه في تأليفه مع تعريف لمصادره، والقواسم المشتركة بينه وبين تلك المصادر، ثم ذكرت مميِّزات "هذا الحبيب" عن غيره، ثم أوضحت ما ظهر لي من خلال القراءة والبحث من مآخذ لازمت الكتاب والكتابة في مثل هذا الفن المعرفي؛ وقد أثبت كل ما دوّنته وما رجعت إليه من مادة خبرية إلى مصادرها ومراجعها بحسب ما يقتضيه البحث العلمي، وختمت أخيراً البحث بقول مجملٍ على ما كان متفرِّقاً في صفحاته وفقراته.

الهوامش:

(1) عبدالله بن عباس(ت68هـ/687م) ابن عبد المطّلب القرشي... الهاشمي أبو العباس المدني ابن عمِّ رسول الله ﷺ، كان يقال له: الحَبر والبحر لكثرة علمه، دعا له رسول الله ﷺ، روى عن النبي ﷺ وعن جمع من الصحابة... وروى عنه خلق كثير... وروى له الجماعة. المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف(ت742هـ/1341م): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د. بشار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط6، 1415هـ/1994م، ج15 ص 154-162.

(2) عبدالله بن عمرو بن العاص(ت63هـ/682م) ابن وائل بن هاشم القرشي، أبو محمد... وأمه رائطة بنت منبِّه بن الحجاج، أسلم قبل أبيه. قال أبو هريرة ﷺ: "ما كان أحد أكثر حديثاً عن رسول الله ﷺ مني إلا عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب". روى عن رسول الله ﷺ وجماعة من الصحابة... وروى له الجماعة. تهذيب الكمال، مصدر سابق، ج15 ص357-362.

(3) البراء بن عازب(ت 71هـ/690م) ابن الحارث بن عديّ بن مجدعة... الأنصاري أبو عمارة صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، وأمه حبيبة بنت أبي حبيبة بن الحباب من بني مالك بن النّجار... نزل الكوفة ومات بها زمن مصعب بن الزبير، روى عن النبي ﷺ وجماعة من الصحابة... وروى له الجماعة. تهذيب الكمال، مصدر سابق، ج4 ص 34-37.

(4) كان عدد التابعين الذين اهتموا بالسيرة حفظاً وتدويناً كثيراً نذكر منهم بحسب تاريخ وفياتهم ذكراً لا حصراً:

أ/ عروة بن الزبير(ت93هـ/711م) ابن العوّام بن خويلد بن أسد... القرشي أبو عبد الله المدنيّ، روى عن أسامة بن زيد بن ثابت الكلبي ... والحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب... وأبيه الزبير بن العوام، وزيد بن ثابت... ذكره محمد بن سعد في الطبقة الثانية من أهل المدينة وقال: كان ثقة كثير الحديث فقيهاً عالماً مأموناً ثبتاً؛... وروى له الجماعة. تهذيب الكمال، مصدر سابق، ج20 ص11-25.

ب/ عامر بن شراحيل الشعبي(ت103هـ/721م) وقيل ابن عبد الله بن شراحيل، وقيل ابن شراحيل بن عَبْدٍ، الشعبي، أبو عمرو الكوفيّ، ابن أخي قيس بن عبد، من شَعْب هَمْدان، وأمُّه من سبي جلولاء ... روى عن

أسامة بن زيد بن حارثة، والأشعث بن قيس الكندي، وأنس بن مالك ... روى عنه إبراهيم بن مهاجر، والأجلح بن عبد الله الكِنْدي ... روى له الجماعة. تهذيب الكمال، مصدر سابق، ج14 ص 28-40.

ج/ أبان بن عثمان بن عفّان(ت105هـ/723م) القرشي الأموي، أبو سعيد، أخو عمرو بن عثمان، وأمهما أم عمرو بنت جندب بن عمرو الدوسي. روى عن أسامة بن زيد، وزيد بن ثابت وأبيه عثمان بن عفان. روى عنه أشعب بن أمّ حميدة الطامع، وداود بن سنان المدنيّ، ورياح بن عبيدة ... روى له البخاري في كتاب رفع اليدين في الصلاة وفي الأدب، والباقون. تهذيب الكمال، مصدر سابق، ج2 ص16-19.

د/ شرحبيل بن سعد(ت123هـ/740م) أبو سعد الخطميّ المدنيّ مولى الأنصار، روى عن جابر بن عبد الله، والحسن بن علي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس ... وروى عنه إسماعيل بن أمية، والحكم بن عبد الرحمن بن أبي نُعم البَجَلي، وزياد بن سعد قال سفيان بن عيينة:" لم يكن أحد أعلم بالمغازي والبدريين منه". روى له البخاري في الأدب وأبو داود وابن ماجه. تهذيب الكمال، مصدر سابق، ج12 ص13-17.

هـ/ محمد بن مسلم(ت124هـ/741م) ابن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، أبو بكر المدني، قال محمد بن سعد:"أمه عائشة بنت عبد الله بن شهاب، روى عن أبان بن عثمان بن عفان، وإبراهيم بن عبد الله بن حنين، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وأنس بن مالك ... وروى عنه أبان بن صالح، وإبراهيم بن إسماعيل بن مجَمِّع، وإبراهيم بن سعد الزهري ... وقال البخاري عن علي بن المديني:"له نحو ألفي حديث". روى له الجماعة. تهذيب الكمال، مصدر سابق، ج26 ص419-443.

(5) للمزيد حول هذا الموضوع يراجع كتاب د/ محمد يسف: المصنّفات المغربية في السيرة النبوية ومصنِّفوها، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، ط1، 1412هـ/1992م. جمع فيه جلّ المصنفات في السيرة النبوية بدءً من (ق2هـ/ق8م) إلى نهاية (ق6هـ/ق12م) وسواء كان ذلك تأليفاً أو نظماً، بداية من الفصل التمهيدي وانتهاءً بالأبواب الثلاثة وفصولها، هذا بالنسبة للقسم الأول أما القسم الثاني ففيه باب واحد بأربعة فصول، أفرده لكتب السيرة النبوية المغربية ومكانتها عند المشارقة ثم خاتمة أجمل فيها خلاصة ما توصل إليه في بحثه، فقد أجاد وأفاد، ويعتبر الكتاب فهرست مغربي في بابه للقرون التي تناولها البحث.

(6) يرجع أصل المعلومات المدوّنة في هذا البحث حول تاريخ سير خط حياة الشيخ منذ النشأة والتعلُّم، إلى الهجرة خارج الديار وجلوسه للعلم ومزاولته لعملية التعليم والشهادات المحصَّل عليها إلى حين التقاعد عن الوظيفة الإدارية، إلى الجلسات العلمية العامة والخاصة وحتى جلسات الضيافة ببيته العامر بالمدينة المنورة أو حتى بدار الضيافة الخاصة برابطة العالم الإسلامي بمِنىً، والتي كان لنا فيها نصيب المجالسة مع سماحته مباشرة وسؤاله أو بسماع الأجوبة منه بسؤال غيرنا له، وذلك على فترات متقطّعة حين تواجدنا بالبقاع المقدَّسة بدءً من سنة(1407هـ/ 1987م) إلى سنة(1417هـ/ 1997م)؛ حتى أنه وقعت مع سماحته بعض المواقف والطرائف واللّطائف لا يتسع المقام لها و لا لذكرها في هذا البحث.

(7) صالح المغامسي العمري الحربي من مواليد (1963م) داعية إسلامي سعودي، عضو هيئة التدريس بجامعة طيبة، وأمين لجنة الأئمة بالمدينة ومدير عام لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ومفسر وعالم وأديب. موقع ويكيبيديا العربي http//www.ar.wikipedia.org بتاريخ: 2014/08/19م في الساعة 20 ليلاً بالتوقيت المحلي.

(8) حسام الدين موسى عفانة من مواليد(1374هـ/1955م) بمدينة القدس-فلسطين- فقيه ومفتي وأستاذ الفقه والأصول في جامعة القدس بفلسطين. موقع ويكيبيديا العربي، نفسه.

(9) يقع الكتاب في مجلّد واحد وعدد صفحاته 603 ص، طبعة مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، ط5، 1419هـ/1998م.

(10) محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار(ت150هـ/767م)، ويقال ابن كوثان، المدنيُّ، أبو بكر، ويقال: أبو عبد الله القرشي المُطَّلبيّ، مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، وكان جدّه يسار من سبي عين التمر بالعراق. رأى أنس بن مالك، وسالم بن عبد الله بن عمر، وسعيد بن المسيّب. روى عن أبان بن صالح، وأبان بن عثمان بن عفان ... وخلق كثير؛ وروى عنه إبراهيم بن سعد بن إبراهيم ... وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة وسلمة بن فضل الرازي... وغيرهم كثير. استشهد به البخاري في "الصحيح" وروى له في كتاب "القراءة خلف الإمام" وغيره، وروى له مسلم في "المتابعات" واحتج به الباقون. تهذيب الكمال، مصدر سابق، ج24 ص405-429.

(11) السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، أبو القاسم (ت 581هـ/ 1185م) المالقي النحوي، الحافظ العلم، صاحب التصانيف، منها "الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام" و"التعريف والإعلام بما أبهم في

القرآن من الأسماء والأعلام" وكتاب "نتائج الفكر" ... وله أبيات الفرج المشهورة، وله أشعار كثيرة، وكان مالكياً ضريرا، أخذ القراءات عن جماعة، وروى عن ابن العربي والكبار، وبرع في العربية واللغات والأخبار والأثر، وتصدَّر للإفادة وكان مشهوراً بالصلاح والورع والعفاف والقناعة بالكفاف، قدم على والي مراكش وأقام بها نحو ثلاثة أعوام. وهو منسوب إلى السُّهيل قرية بالقرب من مالقة بالأندلس، عاش إثنتين وسبعين سنة. ابن عماد الحنبلي، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكريّ الدمشقي (1032-1089هـ/1623-1678م):شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق وتعليق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير دمشق، ط1، 1406هـ/ 1986م، ج6، ص445-446.

(12) النسخة الخطية المعتمدة لدي تقع في سبعة (07) مجلّدات من تحقيق وتعليق وشرح: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية القاهرة، ط1، 1387هـ/1967م؛ وضع سيرة ابن هشام بالمقام الأول (أعلى الصفحة) ثم أردفها بشرح السهيلي عليها ووضع تعليقاته بالمقام الثالث (أسفل الصفحة).

(13) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري المؤرخ الشافعي(555- 630هـ/ 1160-1232م) إشتغل في بلاد متعدِّدة وكان إماماً، نسّابة، مؤرخاً، أخبارياً، أديباً، نبيلاً، محتشماً. وصنّف التاريخ المشهور بـ"الكامل" على الحوادث والسنين في عدة مجلدات وهو من خيار التواريخ، ابتدأ فيه من أول الزمان إلى سنة تسع وعشرين وستمائة. واختصر "الأنساب" لأبي سعد السمعاني، وصنَّف كتاباً حافلاً في معرفة الصحابة سماه"أسد الغابة في معرفة الصحابة". شذرات الذهب، مصدر سابق، ج7 ص241-243.

(14) ابن الأثير: الكامل، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1407هـ/1987م، ج1 ص5.

(15) تقع النسخة الورقية المعتمدة -والتي هي بين يدي -من كتاب الكامل من 11 مجلد، مع بقية المعلومات المثبتة في الهامش رقم13.

(16) الكامل، مصدر سابق، ج1 ص6.

(17) الكامل، مصدر سابق، ج1 ص6-7.

(18) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البُصروي ثم الدمشقي(700-774هـ/1300- 1372م) الفقيه الشافعي، تفقه بالبرهان الفَزَاري، والكمال بن قاضي شُهْبة، ثم صاهر المِزي، وصاحب ابن تيمية، وقرأ في الأصول على الأصبهاني... كان كثير الاستحضار قليل النسيان جيّد الفَهم ... وسمع من الحجّار والقاسم بن عساكر، واشتُهر بالضبط والتحرير وانتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير. شذرات الذهب، مصدر سابق، ج8 ص 397-399.

(19) كثيرة هي الأسماء التي مثّلت المدرسة الشامية زمن ابن كثير، وسواء أخذ منهم أو أخذوا عنه ومنهم مثالاً لا حصراً: إبن تيمية (ت728هـ/ 1328م)، ابن القيم الجوزية(ت751هـ/ 1350م)، القاسم بن محمد البِرْزالي(ت739هـ/ 1338م)، شمس الدين الذهبي(ت748هـ/1347م)، الحافظ المزي(ت742هـ/ 1341م) وابن حجي(ت800هـ/ 1397م). ينظر ترجمتهم في شذرات الذهب مرتبة كالآتي: ج8 ص142-150، ج8 ص287-291، ج8 ص214-216، ج8 ص264-268، ج8 ص236-238، ج8 ص623.

(20) البداية والنهاية: تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر جيزة القاهرة، ط1، 1417هـ/ 1997م. ويقع الكتاب في 11مجلد.

(21) للمزيد حول منهج ابن كثير ينظر: ص 5-7 من مقدمة تحقيق الكتاب للدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي.

(22) للمزيد حول تاريخ أسرة الشيخ (آل مشرف) وحياة أولئك العلماء ينظر: أمين سعد: تاريخ الدولة السعودية، دار الكاتب العربي العربية السعودية [د.ت.ط] ج1 ص47 وما بعدها؛ وابن بشر، عثمان بن عبد الله: عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق: عبد الرحمن آل الشيخ، طبعة وزارة المعارف الإسلامية الرياض السعودية 1391هـ ج2 ص194 وما بعدها.

(23) للمزيد حول موضوعات الكتاب ينظر فهرس الكتاب طبعة وزارة الشؤون الإسلامية الرياض، ط1، 1418هـ.

(24) أبو بكر جابر: هذا الحبيب'محمد رسول الله ﷺ 'يا محب، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، ط5، 1419هـ/ 1998م ص5.

(25) هذا الحبيب، مرجع سابق، ص5- 6.

(26) هذا الحبيب، مرجع سابق، ص 6.

(27) خريطة موقع مكة، ص 7. وخريطة تواجد القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية، ص50.

(28) رسم بياني لشجرة النسب الشريف له ﷺ، ص 22.
(29) رسم توضيحي لمراحل حياته ﷺ حتى البعثة، ص 85.
(30) رسم توضيحي لمواقع غزواته ﷺ مثاله: غزوة بدر، ص244. غزوة أحد، ص279. خيبر ودومة الجندل وتبوك، ص 357.
(31) نماذج من كتبه ﷺ لملوك زمانه ورؤساء الدول يدعوهم إلى الإسلام: كتابه إلى كسرى وإلى قيصر، ص 352. كتابه إلى المقوقس وإلى النجاشي ملك الحبشة، ص353. كتابه إلى الحارث الغساني بالشام وإلى ملك عمان وإلى هوذة صاحب اليمامة، ص354. وكتابه إلى المنذرحاكم البحرين، ص355.
(32) جاء الشيخ بسند رواية بدء الوحي والرؤيا الصادقة فيما رواه الإمام البخاري كاملة، ص 83- 84.
(33) ذكر الشيخ عشر آيات واكبت ميلاده ﷺ إعلاناً عن نبوته ﷺ، وذكر منها أنه وُلِد مسروراً مختوناً ﷺ، ولم يعلّق عليها ولم يشر إلى مصادرها المستقاة منها. هذا الحبيب، مرجع سابق، ص64. غير أن جهابذة علم الجرح والتعديل قد بيَّنوا ذلك في غير موضع، فيقول الذهبي مثلاً معلّقاً على هذه الرواية:" ما أعلم صحة ذلك فكيف يكون متواتراً". الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/ 1374م): تلخيص المستدرك، مكتبة النصر الرياض العربية السعودية، [د ت ط]،ج2 ص602.